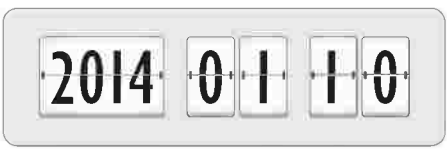

ما إن أصبحنا في البيت، حتى بادرنا إلى استئجار جيش من الحاضنات المربيات المتوافرات على مدار الساعة، لم نكن نعرف الساعة التي سنُطلب فيها لأمر مهم، حاولنا تكريس أكبر قدر ممكن من الوقت لتشلسي، كما فعل الأب والأم والأصدقاء، جنبًا إلى جنب مع عناصر جهاز العاملين في مكتب حاكم الولاية، أقسمت على أن أفعل كل ما بوسعي لأجلها وعلى وضعها فوق كل شيء في حياتي؛ كانت أمي قد فعلت ذلك من أجلي، وسأبقى مدينة لها بالامتنان إلى الأبد. منذ لحظة فتحها لعينيها الزرقاوين الواسعتين وإدراكها لي، كانت تشلسي فتاة صغيرة مبكرة النضج، -خديجة إذا جاز التعبير-، لعلي استطعت رؤيتها وهي تتساءل: هل تلك هي أمي؟ لست واثقة من كون العبارة إطراء، بدأت تتكلم مع بلوغها الثانية من العمر، وما أكثر ما كانت تصرخ: «أين هي ماماي؟ أنا أريد ماماي!».

إبان المدة الرهيبة التي أعقبت خسارة بل لانتخاب حاكمية الولاية، كانت تشلسي بؤرة الضوء الوحيدة في حياتنا. فيرجينيا- أمُّ بل- وتشلسي كانتا تعشقان إحداهما الأخرى، بما جعلنا نمضي كثيرًا من الوقت في بيتها، هناك تعلمت تشلسي المشي والكلام، ولقنت بل درسًا لم ينسه قط؛ كان يحملها ذات يوم وهو يتابع مباراة كرة سلة على التلفاز. نادته بنعومة بابا! لا جواب من بل،

بابا، يا بابا! صاحت بصوت أعلى، مرة أخرى لا جواب من بل، ثم لاذت تشلسي بأسلوب أعنف؛ انقضت على أنفه وعضته بأسنانها الأربع، عوى وراح يراقب أنفه الذي تورم بسرعة، لا أظن أنه عاد إلى حجمه الأصلي، يمكنك استعراض صوره واكتشاف الحقيقة بنفسك!

قليلة هي الأشياء التي كانت تفوق طفلتنا العذبة من حيث الأهمية، حين تطلب عملي سفرات جوية متكررة بين ليتل روك وواشنطن، درجت تشلسي على انتظار عودتي قبل النوم، كان بل يمارس العزف على البيانو وكتابة الوظائف البيتية معها، منذ البداية وجهت جهاز العاملين معي طالبة منهم إبقاء ساعاتي بعد الظهر والمساء حرة قدر الإمكان كي أتفرغ لتشلسي، لم أكن أغادر منزل حاكم الولاية في تلك الساعات ما لم أكن مضطرة اضطرارًا مطلقًا.

حين كنت أعود إلى البيت فيما بعد، كنا أنا وتشلسي نجلس حول مائدة مطبخ العائلة العامرة بكتبها وننجز وظائفها البيتية معًا، وحين كنت بحاجة إلى البقاء بعيدة عن البلدة، كانت ترسل لي وظائفها بوساطة الفاكس، فأرد على أسئلتها بالفاكس أيضًا، كانت بيننا سلسلة طويلة من المناقشات على مائدة العشاء، في أثناء إيصالها إلى المدرسة، إبان ممارسة الرسم المخربش وغيره من الألعاب الأخرى، لدى الهتاف لها من المدرجات في مباريات كرة القدم، ولدى متابعة الأفلام معها، لاسيما تلك المفضلة عندها بياض الثلج والأقزام السبعة (Snow White & the Seven Dwarfs) و هاي نون (High Noon) (عز الظهر).

كنا؛ بل وأنا مصممين- إذا استطعنا- على أن نعفي ابنتنا الحبيبة من أن تعاني جراء انشغالاتنا السياسية، كثيرًا ما كنت أجبر نفسي على الاستماع إلى رواية لقصة نهارها الطويلة كتيار الوعي بوساطة الهاتف رغم كوني مهدودة من التعب عائدة ليلًا إلى غرفة الفندق غير راغبة في أي شيء سوى الارتماء على السرير، وإذا ما غفت عيني بين وقت وآخر كنت أتوجس من أن تكون تشلسي قد لاحظت، وحين أستيقظ كنت أجدها مستمرة في الكلام.